

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَوَيْلٌ
لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: 22]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

الانتقال من
الاستدلال
بالأدلة الكونية
إلى الاستدلال
بالأدلة القرآنية

لَمَّا بَيَّنَّتِ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ حَالَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ، وَمَا لَهُمْ فِي
الْجَنَّةِ مِنَ الْغُرَفَاتِ، وَاتَّبَعَ ذَلِكَ تَمَثِيلَ مَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ إِنْزَالِ
الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ، وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنْ دَوْرَةِ
الْحَيَاةِ حَتَّى يَكُونَ حَطَامًا، وَخَتَمَ الْآيَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 21]؛ نَاسَبَ بَعْدَ ذَلِكَ بَيَانُ أُولَى الْأَبَابِ
الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ مِنَ الْمَشَاهِدَاتِ الْكُونِيَّةِ؛ لِلْاِسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَى الْحَقَائِقِ
النُّورَانِيَّةِ، الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ، فَتَنْشُرُحُ صُدُورُهُمْ لَهُ، فَقَالَ
تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، فَهُوَ انْتِقَالٌ مِنَ الْاِنتِفَاعِ
بِالْأَدْلَةِ الْكُونِيَّةِ، إِلَى الْاِنتِفَاعِ بِالْأَدْلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿شَرَحَ﴾: (شرح) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى الْفَتْحِ وَالْبَيَانِ، وَاسْتِقَافُهُ
مِنْ تَشْرِيحِ اللَّحْمِ⁽¹⁾، يُقَالُ: شَرَحْتُ اللَّحْمَ، وَشَرَّحْتُهُ، وَمِنْهُ: شَرَّحُ
الصَّدْرِ، أَي: بَسَطُهُ بِنُورِ الْإِلَهِيِّ وَسَكِينَةٍ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرُوحٍ مِنْهُ،
وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام:
125]⁽²⁾، وَالشَّرْحُ كَذَلِكَ: الْكَشْفُ، يُقَالُ: شَرَحْتُ فُلَانًا أَمْرَهُ، أَي: أَوْضَحْتُهُ،
وَشَرَّحَ مَسْأَلَةً مُّشْكَلَةً: بَيَّنَّهَا، وَشَرَّحَ الشَّيْءَ يَشْرُحُهُ شَرْحًا، وَشَرَّحَهُ:
فَتَحَهُ، وَبَيَّنَّهُ، وَكَشَفَهُ، وَكُلُّ مَا فُتِحَ مِنَ الْجَوَاهِرِ، فَقَدْ شُرِّحَ أَيْضًا⁽³⁾،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شرح).

(2) الرَّاغِب، المفردات: (شرح).

(3) ابن منظور، لسان العرب: (شرح).

والمراد بشرح الصدر للإسلام في الآية: جَعَلَهُ مُسْتَعِدًّا لِقَبُولِ الْحَقِّ، فهو بمقتضى هذا الشرح والقبول صار على نور وهداية من ربه⁽¹⁾.

(2) ﴿فَوَيْلٌ﴾: أصل اللفظ يدل على إعلان باصطلاح عاقبة مهلكة لعمل أو تصرف⁽²⁾، فالويل: الحزن والهلاك والمشقة من العذاب⁽³⁾، وتُقال لمن وقع في هلكة يستحقها، تقول: ويل لزيد، فإن وقع في هلكة لم يستحقها؛ يقال: ويح لزيد، يكون فيه معنى الترحم⁽⁴⁾، والويل: الفضيحة والبليّة، والجميع الويلات⁽⁵⁾، ومن قال: ويل وادٍ في جهنم؛ فإنه لم يُرد أن ويلًا في اللغة هو موضوع لهذا، وإنما أراد من قال الله تعالى ذلك فيه؛ فقد استحقّ مقرًا من النار، وثبت ذلك له⁽⁶⁾، والمقصود بالويل في الآية: سوء الحال، والوعيد، والتهديد.

(3) ﴿لِلْقَاسِيَةِ﴾: (قسو) أصل يدل على صلابة في شيء، يقال: قسا الجسم يقسو قسواً وقساوةً، أي: صلب، من ذلك: الحجر القاسي؛ أي: الصلب⁽⁷⁾، والقسوة: الشدة والغلظة، وضدها: اللين والرفقة⁽⁸⁾، وتأتي بمعنى: اليأس، يقال: أرض قاسية؛ إذا كانت يابسة لا تنبت شيئاً⁽⁹⁾، وقسوة القلب: مستعارة لقلة تأثر العقل بما يسدى إلى صاحبه من المواعظ ونحوها، وعليه فالمراد بالقاسي في الآية: المتّصف بالقساوة في الحال⁽¹⁰⁾.

(4) ﴿ذِكْرٍ﴾: أصل الذكر الحفظ الذي تذكره، وهو خلاف النسيان⁽¹¹⁾، ثم حمل عليه الذكر باللسان، يقولون: جعله منك على ذكرٍ، بضم الدال، أي: لا تنسه، والذكر: الصيت والنشاء⁽¹²⁾، وهو أيضاً: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين، وكل كتاب من كتب الأنبياء ﷺ

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 212/12.

(2) جبل، للعجم الاشتقاق للوصل: (ويل).

(3) ابن منظور، لسان العرب: (ويل).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ويل).

(5) ابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ويل).

(6) الزاغ، للفردات: (ويل).

(7) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (قسو).

(8) ابن منظور، لسان العرب: (قسا).

(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 302/17.

(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 381/23.

(11) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).

(12) ابن عباد، المحيط في اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذكر).

ذَكَرٌ⁽¹⁾، والذِّكْرُ كذلك: الصَّلَاةُ، وقراءة القرآن، والتَّسْبِيحُ، والدُّعَاءُ، والشُّكْرُ، والطَّاعَةُ⁽²⁾، والمقصود بالذكر في الآية: القرآن الكريم، الذي هو سبب لاطمئنان قلوب المؤمنين.

(5) ﴿صَلِّ﴾: (ضلل) أصلٌ يدلُّ على ضياع الشيءِ وذهابه في غير حقه⁽³⁾، والضَّلَالُ: الغيوبة والخفاء والستر، يُقال: ضلَّ الماءُ في اللَّبَنِ؛ إذا غاب، وضلَّ الكافرُ: غابَ عَنِ الْحُجَّةِ، وضلَّ النَّاسِي؛ إذا غابَ عَنْهُ حِفْظُهُ⁽⁴⁾، والضَّلَالُ أيضًا: الانحرافُ والميلُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَأَضَلَّتْهُ، أي: أَضَعَتْهُ⁽⁵⁾، وَضِدُّهُ: الاهتداء، والاستقامة، والرَّشَادُ، والمقصود بالضلال في الآية: الضياع والخسران.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

تُبَيِّنُ الآيةُ الكريمةُ التَّضَادَّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَبَيْنَ الْمُهْتَدِي وَالضَّالِّ، فَمَنْ وَسَّعَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِمَعْرِفَتِهِ، وَفَسَّحَهُ لِلْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَالخُضُوعِ لَطَاعَتِهِ، وَالْعَمَلِ بِدِينِهِ، فَهُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّهِ، وَشُعُورٍ بِالرَّاحَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَالسُّرُورِ، كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ مِمَّنْ هُوَ ضَيِّقُ الصَّدْرِ عَنِ اسْتِمَاعِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ، قَاسِي الْقَلْبِ، مُعْرِضٌ عَنِ ذِكْرِ الرَّبِّ تَعَالَى؟ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ تَقْسُوا قُلُوبَهُمْ؛ إِذَا سَمِعُوا ذِكْرَ اللَّهِ، فَلَا تَلِينُ لِكِتَابِهِ، وَلَا تَتَذَكَّرُ آيَاتِهِ، وَلَا تَطْمَئِنُّ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَلَا تَخْشَعُ، وَلَا تَعْي، بَلْ هِيَ مُعْرِضَةٌ عَنْ رَبِّهَا، أُولَئِكَ الْقَاسِيَةُ قُلُوبَهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فِي ضَلَالٍ ظَاهِرٍ عَنِ الْحَقِّ⁽⁶⁾.

المؤمن صاحب
انشرح صدره
واتسع قلبه
وعلى ضده
قاسي القلب

(1) الخليل، العين، والأزهرى، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة: (ذكر).

(2) الخليل، العين، والأزهرى، تهذيب اللغة: (ذكر).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضل).

(4) الأزهرى، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ضل).

(5) الأزهرى، تهذيب اللغة: (ضل).

(6) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 527، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 247، وابن كثير، تفسير

القرآن العظيم: 7/ 93، والسعدى، تيسير الكريم الرحمن، ص: 722.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

نوع الفاء وأثر ارتباطها الدلالي:

إذا اعتبرنا الفاء في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ عاطفةً على مذكورٍ قبلَ الهمزة، فالكلام تقييدٌ على السابق، وإذا اعتبرناها عاطفةً على مُقدَّرٍ بعد الهمزة، فالكلام "جارٍ مجرى التعليل لما قبله، من تباين حالي المهتدي والضال"⁽¹⁾، وعليه: فالجملة مستأنفة استثنافاً تعليلياً لما قبله، فلما ذُكر أولي الأبواب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝٢١﴾ [الزمر: 21]؛ بيّن أنَّ علّة ذلك بما تفضّل الله تعالى به على عباده المؤمنين بأن شرح صدورهم للإيمان.

شرح الصدر
بالإسلام ثمرة
التذكر الحق

بلادة الاستفهام:

جاء التعبير بأسلوب الاستفهام في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾؛ لتقرير حال الناس بالانتفاع من القرآن من عدمه⁽²⁾، فإنَّ الناس قسمان: مؤمنٌ منتفع بالقرآن، وكافر ضالٌّ ظالم لنفسه معرض عن تعاليم الإسلام، وشأن الاستفهام أن يُؤثّر في المخاطب، فيقرّره بالحق، بعد معرفة أدلته.

بعد معرفة أدلة
الحق لا سبيل
إلا الإقرار

براعة تقديم الهمزة على الفاء:

قدّم النّظم الجليل حرفَ الاستفهام على الفاء في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾؛ لأنَّ الاستفهام له الصّدارة في ترتيب الجملة في النّظم العربي، والفاء تكون على هذا إمّا عاطفةً على سابقٍ للهمزة كما سبق، وإمّا على مقدّرٍ بعد الهمزة، ويكون المقدّر بعد الهمزة كلاماً عامّاً يدخل فيه الصّنفان: مَنْ شَرَحَ صدره، وَمَنْ قسا قلبه، وتقدير الكلام: "أكلُّ

تقدير المحذوف
بعد الهمزة
بما يتسق مع
مضمون الآية

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 252 / 7.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 379 / 23.

النَّاسِ سِوَاءَ، فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ تَعَالَى صَدْرَهُ، وَخَلَقَهُ مُسْتَعِدًّا لِلْإِسْلَامِ، فَبَقِيَ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ، وَلَمْ تَتَغَيَّرْ بِالْعَوَارِضِ الْمَكْتَسِبَةِ الْقَادِحَةِ فِيهَا، فَهُوَ بِمَوْجِبِ ذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ عَلَى نُورٍ عَظِيمٍ مِنْ رَبِّهِ، كَمَنْ قَسَا قَلْبُهُ، وَحَرَجَ صَدْرُهُ بِتَبْدِيلِ فِطْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ ظُلُمَاتُ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ، فَأَعْرَضَ عَنْ تِلْكَ الْآيَاتِ“(1).

دلالة الاسم الموصول:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِاسْمِ الْمَوْصُولِ (مَنْ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعُمُومِ، فَيَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ مَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ.

بلاغة الاستعارة في مفردة الشرح:

اسْتَعَارَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ لَفْظَ الشَّرْحِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ وَالِاهْتِدَاءِ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَعْنَى الشَّرْحِ: الْبَسْطُ وَالْمُدُّ، وَاسْتُعِيرَ هُنَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ قَدْ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُسْتَعِدًّا لِقَبُولِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِ امْتِنَاعٍ(2)، فَالاستعارة تَصْرِيحِيَّةٌ تَبْعِيَّةٌ؛ إِذْ شَبَّهَ قَبُولَ الْحَقِّ بِشَرْحِ الصَّدْرِ، وَالاستعارة أْبْلَغُ مِنَ الْحَقِيقَةِ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ تَصْوِيرِ الْحَدِيثِ وَتَجْسِيدِهِ، فَكَأَنَّ الصَّدْرَ يَفْتَحُ، وَيَوْضَعُ فِيهِ الْهُدَى، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ إِسْنَادِ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

دلالة التعبير بصيغة الماضي:

آثَرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ التَّعْبِيرَ بِصِيغَةِ الْمَاضِي لِلْفِظِ الشَّرْحِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى قَبُولِهِ الْإِسْلَامَ، فَإِنَّ مَا يَكْتَسِبُهُ الْمُؤْمِنُ مِنْ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ وَدَعْوَتِهِ تَجْعَلُهُ فَرِحًا بِحَالِهِ، مُسْرُورًا بِرِضَا رَبِّهِ، مُسْتَخَفًّا

تصوير المعاني
وتجسيدها
أوقع في الذهن
وأرسخ في الفهم

لا ينال المدح إلا
من أيقن بعد
توفيق

(1) الألويسي، روح المعاني: 12 / 246.

(2) الخفاجي، عناية القاصي: 7 / 334، وينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: 4 / 527.

بما يناله من مصائب الدنيا؛ لما لديه من يقين بكونه على الحق، وأنه مثاب على عمله وصبره⁽¹⁾، فالتعبير عن ذلك بالفعل الماضي؛ للدلالة على تحقق شرح الصدر، فإن المدح لا ينال إلا المتيقن من الإسلام، المتحقق من الإيمان.

غرض إسناد فعل الشرح إلى اسم الجلالة:

أسند النظم الجليل لفظ الشرح إلى اسم الجلالة في قوله جل شأنه: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾؛ للدلالة على أنه قد وقع على أتم الوجوه؛ لأنه فعل صادر من الخالق العظيم ذي العلم والقدرة والكمال⁽²⁾، ولتشريف من شرح صدره للإسلام، وهناً قلبه بالإيمان، ولإكساب النظم هيبة وجلالا، فإن الأعمال الجليلة تزداد جلالة عند إسنادها إلى الجليل سبحانه.

نكتة ذكر الصدر دون القلب:

آثر النظم الكريم أن يعمل فعل الشرح في الصدور دون القلوب في قوله جل شأنه: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، فلم يقل: (شرح الله قلبه للإيمان)، فجعل الصدر محل الشرح لدخول الإسلام؛ وذلك للدلالة على أن أثر الإسلام والشعور ببرده إنما يكون في الصدر، فالصدر هو موضع الراحة والسكينة، وأما القلب؛ فهو موطن القبول والإيمان، ولذلك إذا تحير الإنسان، وتردد في أمر يجد في نفسه غما يتأثر منه جهازه العصبي، فيظهر تأثره في انضغاط نفسه حتى يصير تنفسه عسيراً، ويكثر تهده، وكان عضو التنفس في ذلك الصدر، فشبه الانضغاط بالضيق والانطباق، فقالوا: ضاق صدره، وقالوا في ضد ذلك: شرح الله صدره، وجمع بينهما قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

تشریف الأمر
وتنویز الصدر
بذكر صاحب
الجلال والكمال

الصدر هو
موضع الشعور
بالراحة
والطمأنينة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 380 / 23.

(2) الخفاجي، عناية القاضى: 334 / 7.

وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴿١﴾

[الأنعام: 125] (1).

نوع الفاء ودلائلها:

نور البصيرة
مسبب عن
شرح الصدر

الفاء في قوله جل شأنه: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ للتفريع، أي: إنَّ كونه على نورٍ وهدي من ربه مترتبٌ ترتب السبب على شرح صدره للإسلام (2)، فإذا شرح الله صدر العباد للإسلام، فأسلموا، وآمنوا، وأيقنوا، كانوا حينئذٍ على نورٍ من ربهم، يهديهم به إلى الخير، ويصرفهم عن السوء، وهذا من عظيم الوعد لما ينال المؤمنون من النور الرباني.

بلاغة الجملة الاسمية:

التمكّن من النور
لطف من الله لا
يزول

آثر النظم الكريم التعبير بالجملة الاسمية في قوله جل شأنه: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾؛ للدلالة على تأكيد الخبر، وتقوية المعنى، وأن تلك الكينونة ثابتة لا تزول، فهو ثابت على الهدى والنور.

بلاغة الاستعارة التمثيلية:

ثبوت المؤمن على
الهدى كثبوت
الراكب على
دابته

عبّر النظم الجليل بحرف الجر ﴿عَلَى﴾ الدال على الاستعلاء في قوله جل شأنه: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾، وهو استعلاء مجازي، فإنَّ النور لا يُعلَى عليه، بل المراد الدلالة على تمكّنهم من النور والهدى، فشبه المؤمن الراسخ بالهداية بمن ركب الدابة، وثبت على ظهرها، فهي استعارة تمثيلية؛ للدلالة على التمكن من النور، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5] (3).

نكتة استعمال حرف الاستعلاء دون الظرف:

عدل النظم الجليل في قوله جل شأنه: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 379 / 23، 380.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 485 / 16.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 381 / 23.

بالتعبير بالاستعلاء دون الملكية بأن يقول: (عنده نور)، أو: (له نور)؛ وذلك للدلالة على استمرار ذلك النور، واستقراره فيه⁽¹⁾، فإنَّ التَّمَكُّنُ أبلغُ من الامتلاك والحوز، فإنَّ ما تحوزه قد تفقده، أمَّا المتمكِّن من الشيء؛ فإنه لا يزول عنه.

التَّمَكُّنُ من
الشيء أدلُّ على
ثبوته وبقائه من
حوزه ومُلكه

بلغة الاستعارة التصريحية في مفردة النور:

استعار النظمُ الجليل لفظَ النور في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾؛ للدلالة على الهداية والمعرفة، كما أنَّ الظلام يُستعار للضلال⁽²⁾؛ لأنَّ النور تنجلي به الأشياء، كما أنَّ المهتدي يخرج بالهدى من غياهب الضلالة⁽³⁾، فشَبَّهَ الهدى الذي يُظهر الحقَّ للنَّاس بالنور الذي يكشف الأشياء، فَيُبَصِّرُ به النَّاس ما كان مستورًا بالظلام، فالاستعارة تصريحية، والجامع الانكشاف والمعرفة والظهور.

انكشاف الحقِّ
للمؤمن بالهدى
كانكشاف
الظلام بالنور

والاستعارة أبلغُ من الحقيقة، وذلك أنَّ النور أداة موصلة لرؤية الحق، وغاية عظيمة لاستمرار ذلك، فإذا غاب النور؛ غابت الرؤية، فهو خادمٌ للبصر والبصيرة، وبه يتحقَّق الانكشاف والظهور، فذكره أبلغُ من ذكر الهداية؛ لأنَّه يلزم ذكرها بذكره، دون العكس.

نكتة تنكير لفظ «نور»:

أثر النظم الكريم التعبير بلفظ النور بصيغة التنكير في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾؛ للدلالة على عظمة ذلك النور وفخامة شأنه⁽⁴⁾، فهو نورٌ أيُّ نور.

نوع «مِن» ودلالاتها في «مِن رَّبِّهِ»:

عبَّر النظمُ الجليل بحرف الجرِّ «مِن» في قوله جلَّ شأنه: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾، وهي هنا ابتدائية، أي: إنَّ هذا النور موصوف

النور مِن
الله كامل
ظاهر موصِل
للكمالات

(1) الخفاجي، غنايه القاضي: 334 / 7.

(2) الخفاجي، غنايه القاضي: 334 / 7.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 381 / 23.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 485 / 16.

بأنه واردٌ وصادرٌ عن الله تعالى، فهو نور كامل لا تخالطه ظلمة⁽¹⁾، ونورٌ طاهر لا يعتريه أي خللٌ، ونورٌ موصلٌ لله تعالى بدون وساطة.

سرُّ التعبير بلفظ الرَّبِّ دونَ اسمِ الجلالة:

توحيد الربوبية
هو المعين على
الطاعة الحقة
والعبادة التامة

آثر النظم الكريم التعبير بلفظ الربِّ دونَ اسمِ الجلالة، مع تقدُّم ذكره في صدر الآية في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾؛ للدلالة على عظيم تلك الهداية؛ إذ جعلها من مظهر الإحسان والتربية، لا من مظهر الجلالة، وبيان أن ذلك النور هو محض فضلٍ من مولاه الذي سبق منه الإحسان⁽²⁾، ولبيان أن هذا النور هو نورٌ رعايةٍ وعنايةٍ ورحمةٍ يوصل إلى المطلوب الحق، الوارد على لسان الحق، ولا يُعلم توحيد الألوهية ما لم يوقف على توحيد الربوبية.

نكتة الإضافة في ﴿رَبِّهِ﴾:

كمال عناية الله
بالمهتدي

أضيف لفظ الربِّ إلى الضمير في قوله سبحانه: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾؛ للدلالة على كمال العناية به، وأن انقياده إنما كان بإحسان ربه إليه⁽³⁾، ولتشریفه في هذا الانتساب.

دلالة الفاء التفرعية:

بيان مآل الباطل
عند مخالفة
الحق

افتتح النظم الجليل الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ بالفاء التفرعية، ففرع جزاء الكافرين على ما وصف من حال المؤمنين الذين شرح الله صدورهم للإسلام، فهم على نور من ربهم، فأتبع الضدَّ بضده، فدلَّ التفرُّع على أن حال الكافر الذي لم يشرح الله تعالى صدره - فكان قلبه قاسياً - ليس لدعوة الخير إلى قلبه من سبيل⁽⁴⁾، وفي ذلك ربطٌ ضديٌّ بين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 381/23.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 485/16، 486.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 486/16.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 381/23.

الجزائين، فالَّذِي لم يَسِرْ على نهج الهدى، ولم يُشْرَحْ صدره، فهو من قُساة القلب، وويلٌ للَّذِي قسا قلبه، ورَضِيَ بالباطل.

بلغة الكناية في مفردة (ويل):

عَبَّرَ النَّظْمُ الجليل بلفظ الويل في قوله جَلَّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾؛ للدلالة على أَنَّهُمْ سيبلغون أقصى غايات الشقاوة والتعاسة، فاللفظة أجملت سوء حالهم⁽¹⁾، وجاء التعبير عن ذلك بصيغة التذكير؛ تعظيمًا له وتهويلًا، ومن قال: وَيْلٌ وادٍ في جهنم، فإنه لم يُرد أن وَيْلًا في اللغة موضوعٌ لهذا، وإنما أراد أن مَنْ قال الله تعالى ذلك فيه؛ فقد استحقَّ مقرًّا من النار، وثبت ذلك له⁽²⁾، فهو كناية عن الوعيد والتَّهديد الشديد.

نوع اللام ودلائلها:

(اللام) في قوله جَلَّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ دالةٌ على الاستحقاق، أي: الويل مستحقٌّ لمن قسا قلبه عن ذكر الله، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]⁽³⁾.

بلغة استعمال مفردة القسوة مادة وصيغة:

آثَرَ النَّظْمُ الكريم استعمال مفردة القسوة في قوله جَلَّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾؛ لدلالة القسوة على الصلابة والشدة والغلظة، وهي ضدُّ اللين⁽⁴⁾، ممَّا يُشير إلى صلابة قلوبهم وانتفاء تأثيرها بذكر الله تعالى، وجاء التعبير عن ذلك بصيغة اسم الفاعل؛ للدلالة على رسوخ صفة القسوة فيهم، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: 74]، فإنَّ قسوة القلب عنوانُ الصُّدودِ عن الحق؛

مآل الكافرين
إلى أقصى
درجات الشقاء
والنبؤس

القلب القاسي
لا يدخله إيمان،
كالحجر الذي لا
يدخله ماء

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 381/23.

(2) الزَّاعِب، للفردات: (ويل).

(3) الرَّجَاجِي، الألمات، ص: 65.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قسو)، وابن منظور، لسان العرب: (قسا).

لأنَّ القسوةَ تمثِّلُ عدمَ قابليَّةِ القلبِ لماءِ الإيمانِ، كما أنَّ الحجارةَ لا يدخلُ في جوفها ماءٌ.

بلاغة الاستعارة التَّصريحِيَّة:

استعار النُّظْمُ الجليل لفظَ القسوةِ في قوله جَلَّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْفَسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾؛ للدَّلالة على عدم تأثُّر عقولهم وقلوبهم بما يسمعون من المواعظ والتذكير⁽¹⁾، فشَبَّهَ عدم تأثُّرهم بالحقِّ بالقسوة التي تعتري الشَّيءَ، كالحجر الذي لا يتأثَّر بالماء إن صُبَّ عليه، والجامعُ انتفاءُ الانتفاعِ من رِوَادِ الخير، فالاستعارةُ تصرِيحِيَّةٌ تبعيَّةٌ، وهي أبلغُ من الحقيقة؛ إذِ القسوةُ تمثِّلُ محسوسٌ يفقهه النَّاسُ عند إطلاقه، ويتصوِّرون سوءه.

علَّة اختلاف التَّقابل في الآية:

آثَر النُّظْمُ الكريم إسنادَ القسوةِ إلى القلوب في قوله جَلَّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْفَسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ﴾ دونَ أن يقول: (فويل للذين أقسى الله قلوبهم)؛ تبعاً لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾؛ وذلك للإشارة إلى أنَّ قسوة قلوبهم من فعلهم، وأنَّ ضلالهم بمحض اختيارهم، وليس من عند الله تعالى، فاختلف التَّقابلُ بين الجملتين لبيان الفارق في المعنى، فإنَّ قسوة القلب نتيجة الصُّدود، وشرح الصِّدْرِ ثمرةُ توفيق الله تعالى.

نوع ﴿مِّنْ﴾ ودلالاتها التَّعليليَّة في ﴿مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾:

استعمل النُّظْمُ الجليل حرفَ الجرِّ ﴿مِّنْ﴾ في قوله جَلَّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْفَسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الدَّالُّ على التَّعليل، أي: إذا ذكر الله تعالى بسمع منهم، أو تليت عليهم آياته، فإنَّهم يشمئزُّون من ذلك، فتزداد قلوبهم قساوة⁽²⁾، فكما أنَّ القرآنَ

قلوب الكافرين
كالصَّخرة
القاسية التي لا
تُنبِت شيئاً

قسوة القلوب
نتيجة الصُّدود،
وشرح الصِّدْرِ
بتوفيق الحقِّ

القرآن سبب
طمأنينة
القلوب وشفاء
الشمئزِّين

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 381 / 23.

(2) الزَّمَخْشَرِيُّ، الكَشَافُ: 122 / 4.

الكريم سبب لاطمئنان قلوب المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 28]، فهو كذلك سبب لقساوة قلوب الكافرين⁽¹⁾، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَآءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيْ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًّ﴾ [فصلت: 44].

غرض الإضافة ودلائلها:

أضيف لفظ ﴿ذِكْرٍ﴾ إلى اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذِكْرُ اللَّهِ﴾؛ تفخيماً لشأن الذكر، وتشريعاً له⁽²⁾، وفيه مزيدٌ تعنيفٍ وتقريع لهم بسبب تركهم لهذا الذكر الشريف.

علة التصريح باسم الجلالة:

أظهر النظم الجليل اسم الجلالة في قوله جل شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْفَسِيحَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذِكْرُ اللَّهِ﴾ دون أن يقول: (مَنْ ذكره)؛ وذلك للدلالة على عظم قسوة قلوبهم، فإنهم أعرضوا عن ذكر الله تعالى الذي يتصف بجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى⁽³⁾، الذي خلقهم، ورعاهم، ورباهم، وأوصلهم إلى ما هم عليه، ولإيماء إلى أن هذا الذكر هو الذي يجب أن يكون ذكراً في القلوب؛ لأنه من الله جل في علاه، ففي التصريح باسم الجلالة إشارة إلى تعليل ذم المعرضين عن الحق.

بلادة الاستئناف البياني:

فصل النظم الجليل جملة: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾؛ لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأن الحكم بأن ذكر الله تعالى يسبب قساوة في قلوبهم يثير في نفس السامع سؤالاً؛ فكأنه قال: كيف كان ذكر الله سبب قساوة قلوبهم؟ فجاء الجواب: لأنهم متمكنون

أشد الناس
قسوة من ثبت
له الذكر قلباً
وعقلاً

علة قسوة
القلوب المتمكن
في الضلال

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 382 / 23.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 382 / 23.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 486 / 16.

مِن الضَّلَالَةِ، وضلالهم من الشَّدة بحيثُ إنَّه لا يُزال بسماعِ ذِكْرِ
الله تعالى⁽¹⁾.

سرُّ اسمِ الإشارةِ للبعيدِ ﴿أُولَئِكَ﴾:

شَدَّةُ خُسْرَانِهِمْ،
وَبُعْدُ مَرْتَبَةِ
ضَلَالِهِمْ

آثَرَ النَّظْمِ الكريمِ استعمالَ اسمِ الإشارةِ للبعيدِ في قوله جَلَّ شأنه: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾؛ للدَّلالةِ على شَدَّةِ خُسْرَانِهِمْ، وَبُعْدِ مَرْتَبَةِ ضَلَالِهِمْ، كما أنَّ فيه ذمًّا لهم، فَهُمْ الْبَاعِدُ⁽²⁾.

بلاغةُ استعمالِ حرفِ الظَّرْفِيَّةِ:

الْمُغْمَسُ فِي
الضَّلَالِ لَا
يُخْشَعُ قَلْبُهُ
لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى

استعمل النَّظْمُ الجليل حرفَ الجرِّ ﴿فِي﴾ الدَّالَّ على الظَّرْفِيَّةِ في قوله جَلَّ شأنه: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، والظَّرْفِيَّةُ هنا مجازيَّةٌ؛ إذ الضَّلَالُ لا يكون ظرفًا يحوز داخله شيئًا ما، والمراد: بيانُ شَدَّةِ رُسُوحِ قُلُوبِهِمْ فِي الضَّلَالِ، فدلَّ على "أنَّهم متمكِّنون من الضَّلَالَةِ، منغمسون في حماتها، فكان ضلالهم أشدَّ من أن يتقشَّع حين يسمعون ذِكْرَ اللَّهِ"⁽³⁾.

بلاغةُ الاستعارةِ المكنيةِ:

تَشْبِيهُ الضَّالِّ
بِقَارِبٍ مَخْرُوقٍ

شَبَّه النَّظْمُ الكريمِ الضَّلَالَ في قوله جَلَّ شأنه: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بشيءٍ مظروفٍ كقاربٍ مخروقٍ، وأولئك الضَّلَالُ فيه لا يخرجون منه مع معرفتهم بفساده وضيقةِ ونتيجته المهلكة، على سبيل الاستعارةِ المكنيةِ، والاستعارةُ أبلغ من الحقيقة، لما يعترئها من تصوير مشهدٍ سوءِ الضَّلَالِ، وما يُحيط به من الأخطار الواضحة.

غرضُ تنكيرِ لفظِ ﴿ضَلَالٍ﴾:

نُكِّرَ لفظُ الضَّلَالِ في قوله جَلَّ شأنه: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾؛ للدَّلالةِ على عِظَمِ ضلالهم وشِدَّتِهِ، فهو ضلالٌ تفاخَشَ حتَّى صار مبهَمَ القَدْرِ.

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 382 / 23.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 486 / 16.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 382 / 23.

نُكْتَةُ وَصْفِ الضَّلَالِ بِالْمُبِينِ:

وصف النظم الجليل الضلال بكونه مُبِيناً في قوله جل شأنه: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾؛ وذلك للدلالة على أن ضلالهم واضح لا يخفى شأنه عن أحد، كما أنه يشير إلى قوّته وظهوره، فهو ضلالٌ يبين لأدنى متأمل⁽¹⁾، والإبانة ذاتية في الضلال، فمن ضلّ؛ بان له، وبان لغيره وجه الضلال، ففيه إيماء إلى أن قسوة القلب هي سبب الضلال لا العكس، فإن الضلال مبينٌ غيرٌ خافٍ على أحد.

بلغة الاحتباك:

بنى النظم الجليل الآية بطريقة الاحتباك للإيجاز، فقال: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٖٓ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، فـ "ذَكَرَ أَوَّلًا الشَّرْحَ وَالنُّورَ دليلاً على حذف ضده ثانياً، وثانياً الويل للقاسي، والضلال دليلاً على حذف ضده أَوَّلًا"⁽²⁾، والتقدير: أفمن شرح الله صدره، فهو على نور من ربه، فبشرى لهم، وأولئك على هدى مبين، كمن أعمى الله بصيرته، فهم في ظلمات، فويل لهم، وأولئك في ضلال مبين.

سبب الضلال
القسوة لا
العكس؛ لإبانة
الضلال عن
نفسه

يجمع الاحتباك
بين مذكور
مطلوب،
ومحذوف
مقصود

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 383 / 23.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 486 / 16.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،

سورة الزُّمَر من الآية 05 إلى الآية 72

مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمَر من الآية 05 إلى الآية 72

[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 50 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.

ردمك : 4-81-643-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمَر من الآية 05 إلى الآية 72.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 4-81-643-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،

الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»